

دور العمال في تحقيق الوحدة والاشتراكية

ليس مستغرباً^(١) في نظرنا ان نشهد ميلاد هذا الحدث التاريخي الذي هو تأسيس أول اتحاد لنقابات العمال العرب في هذا العام بالذات، الذي حفل بالاحداث الخطيرة وبوثبات الشعب العربي الفذة في ميادين التحرر والاستقلال والوحدة القومية. فلقد بنينا عملنا ونضالنا في هذا الحزب منذ خمسة عشر عاماً على مسلمة اساسية بسيطة هي ان القضية العربية كل لا يتجزأ. وربطنا بين تحرر الامة من الاستعمار الخارجي وبين تحررها من الاستعمار الداخلي وبين تغلبها على التجزئة وتحقيقها لوحدها القومية، وها ان الحوادث والوقائع تجيء عاماً بعد عام ويوما بعد يوم مصداقاً لسلامة تلك النظرة ومثانة ذلك الاساس الذي بنينا عليه نضالنا. فأية خطوة يخطوها الشعب العربي في سبيل انتزاع حريته وسيادته من الاجنبي الغاصب، تؤدي حتماً وبالضرورة الى خطوة او خطوات في طريق تحرر هذا الشعب من الاوضاع الاقتصادية الجائرة المتأخرة، كما تسهل عليه توحيد نضاله في مختلف اجزاء وطنه العربي لتؤدي الى توحيد هذه الاجزاء نفسها.

في العمال العرب تتجسد وحدة القضية العربية - على أن هذه النظرة الموحدة لقضيتنا ظلت حتى الماضي القريب تقابل من الحكومات ومن اكثر السياسيين في بلاد العرب بالاستهجان والتجريح والمقاومة. ولا نستطيع ان نقول انها ظفرت اليوم ظفراً تاماً بل نعلم انه ما يزال امامها كثير من العقبات التي تقيمها في وجهها المصالح الخاصة وأنانيات الحكام ورواسب عقلية التجزئة. واذا كان في وطننا العربي فئة مهيأة لان تتحرر قبل غيرها من هذه المصالح والرواسب، وأن تجسد في تفكيرها

(١) كلمة ارتجلت في المهرجان الذي اقيم في مكتب الحزب عند زيارة وفود اتحاد نقابات العمال العرب للحزب بمناسبة انعقاد مؤتمرهم الاول في دمشق.

ونضالها وحدة القضية العربية، فانها تكون فئة العمال العرب بصورة خاصة وجماهير الشعب العربي الكادحة بوجه أعم، لان هذه الجماهير تعاني بالتجربة اليومية الحية هذه الحقيقة الناصعة وهي ان أعداءها هم أنفسهم اعداء الامة العربية. فالاستعمار الاجنبي ورييته اسرائيل والرجعية العربية والحكام الانفصاليون، كل هؤلاء؛ لئن كانوا متحالفين متضامنين في تأمرهم على حرية الامة العربية وانبعائها وبقائها، فانما ذلك يعود في النهاية الى غرض واحد هو استثمار جماهير الشعب العربي وتسخيرها لمصالحهم الاستعمارية والاقتطاعية والرأسمالية، ومعنى ذلك ان مقاومة جماهير شعبنا لهذا الاستثمار الاجنبي والداخلي هي في حقيقة الامر مقاومة الامة العربية للفناء ودفاعها عن بقائها ووجودها.

الوحدة والاشتراكية - بالامس كنت أتحدث في بيروت أمام حشد من الجامعيين، فوجه الي بعضهم هذا السؤال: لماذا نهتم الان او منذ الان بالاشتراكية قبل ان نحقق الوحدة العربية. ألا يكون النضال الاشتراكي عائقا في سبيل توحيد أقطارنا ومبعثا لجهودنا، أليست الوحدة، عندما تتحقق، كفيلة بتحقيق كل ما ينشده الشعب العربي من حرية وعدالة ورخاء؟ ولا بد لي أن أذكر ان هذا السؤال كان يطرح علينا قبل عشر سنوات على شكل آخر من الحكام وأحزابهم وأنصارهم، اذ كانوا يسألون عن مبرر العمل للاشتركية وللوحدة العربية قبل ان يتم التحرر من الاجنبي. وقد أجبت الجامعيين في بيروت بأن الوحدة العربية ليست عملية سياسية ومفاوضات واتفاقات تقوم بين الحكومات بل هي عملية ثورة ونضال يقوم بها الشعب لانه وحده محتاج اليها، مخلص في طلبها، ولذلك فان النضال في سبيل الوحدة العربية لا يكون واقعياً ومجدياً الا اذا امتزج بنضال جماهير الشعب العربي في سبيل حقوقها الحياتية ورفع مستوى معيشتها. ويجب ان نعلم ان اعداء الوحدة الكثيرين هم الاستعمار واسرائيل التي لم توجد الا لتعطيل الوحدة وعرقلتها، والمصالح الرجعية الداخلية وكل ما في مجتمعنا من امراض وعصبية وجاهل وتأخر. ولا يمكن التغلب على هذه الكثرة المخيفة من الاعداء بالعمل الحكومي وحده، خاصة اذا عرفنا ان الحكومات ما زالت في اكثرها ممثلة لهذه المصالح المعادية للوحدة. ولا بد

اذن من ان ينهض بعبء الوحدة شعب بكامله يرى فيها خبزه اليومي وتحرر وطنه من الاجنبي ويستमित بالتالي في طلبها لانها سبيل حريته وكرامته الانسانية .

فعندما ربطنا الوحدة بالاشتراكية لم نتعسف ولم نرتجل ، بل وجدنا في ذلك السبيل الوحيد لكي تصبح الوحدة في حياتنا حقيقة حية متحركة ، يطالب بها كل عامل عندما يطالب بخبزه وبزيادة اجره وباندواء لابنائهم ، وعندما يطالب كل فلاح فقير ومظلوم باسترداد حقه في انتاجه ويرفع انضمامه والاستعباد عن كاهله . هكذا جعلنا الوحدة العربية مطلباً حياً وقعيّاً يداخ حية فرد الشعب العربي في ظروف حياتهم اليومية وفي ابسط شيء في حياتهم وهو حاجتهم المادية .

نهضة مصر من ارادة الشعب - لم تروا ايها الاخوان الى هذه النهضة في قطننا الحبيب مصر ، كيف حول نسياسيون وامتزعمون الى جانب الاستعمار المجرم عشرات السنين عزله عن امة عروبة وعن قضيته الحقيقية ومصالحته الواقعية . حتى اذا ارتفع كابوس الاستعمار وتصبحت رضى مصر من فساد الدخلاء والاجانب ومن عبث المستثمرين لنا حيين . جاء لاندفع لثفكرة العربية عفويّاً ، سهلاً ، بسيطاً ، لان العروبة لاتستيقظ الا في جو نضال وعندما يسترد الشعب شعوره بمسؤوليته وكرامته .

وليس ما حدث في مصر من قيبي المصادفة وليس هو عمل افراد ، وان كان لهؤلاء الافراد الذين قاموا بالثورة في مصر فضل كبير ان هذا الرجوع الى الطريق الصحيح كان من وحي الشعب ومن ارادة الشعب ومن هذا الجو النظيف السليم الذي تحقق لمصر بعد ان تغلبت على الاستعمار وعلى الفساد .

اننا مع استبشارنا باتجاه رجاء الثورة الجديد ، نرى من الواجب ان نطالبهم بالمزيد من الجرأة في هذا الاتجاه . ولينثقوا بأن كل خطوة بخطوتها في طريق الوحدة العربية والعمل الموحد لتقضية عربية اذا كانت ستكلفهم بعض التضحيات الأنية المحلية ، فانها ستفجر مامهم مقرب ذلك امكانيات دفينه في الشعب العربي قد تبلغ حد المعجزات .

النضال في سبيل تقضية عربية لواحدة - ان الشعب العربي يثبت في مختلف

اقطاره، في نضال المغرب الدامي، في نهضة مصر وفي وثبة الاردن، وحتى في العراق الذي لم يجرؤ حكامه ان يتركوا المجال لخروج افراد قلائل يمثلون المحامين في مؤتمرهم في القاهرة والعمال في هذا المؤتمر، وهذا دليل على ان غضبة الشعب العربي في العراق قوية جداً حتى أخافت الحكام الاذلاء الى مثل هذا الحد. وانني في نهاية هذه الكلمة احمل اخواني اعضاء الوفود النقابية تحية الاعجاب والتفاؤل والعهد المقيم على النضال المستمر في سبيل قضيتنا العربية الواحدة التي لانفرق فيها بين ما هو اجتماعي اقتصادي وبين ما هو قومي لان نجاح هذه القضية رهن بابقائها وحده . . .

آذار ١٩٥٦